من المكتبة السودانية

الطراز المنقوش

تأليف إسماعيل بن عبد القادر الكردفاني

تقديم وعرض محمد سعيد القدال

هذه مخطوطة من عهد المهدية الفها اسماعيل بن عبد القادر الكردفاني وسماها «الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش». وفي هذا المقال سنتعرض أولا الى شخصية الكردفاني ثم نقدم مؤلفه هذا.

لانملك معلومات كافية عن شخصية الكردفاني الا ما أورده نعوم شقير في كتابه (١)، والذي أخذت منه هذه المعلومات عن المؤلف. فهو اسماعيل بن عبد القادر الكردفاني، وهو ابن اخت أحمد الولي الكردفاني المشهور. وقد سافر الى مصر مع خاله للتعلم في الازهر حيث قضى به ثماني سنوات. وعاد بعدها الى السودان حيث عين مفتيا لمديرية كردفان. وعندما نشبت الثورة المهدية واتى المهدي غازيا للابيض خرج اليه الكردفاني مع من خرج من أهل الأبيض وانضم الى المهدية. ولما جاء الخليفة عبد الله رأى فيه «صفات الكتابة والعلم» فأوكل إليه تدوين سيرة المهدي فألف كتابه الأول المسمى «سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي». فكانت هذه الرسالة سببا في علو شأنه في عهد الخليفة. ولكن الخليفة غضب عليه بعد ذلك ونفاه إلى الرجاف عام ١٨٩٣ (١٣١٠ / ١٣١١ هـ) وبقي بها حتى مات عام ١٨٩٧ (١٣١٤ / ١٣١٥ هـ) ويقول شقير أن «مرعفينا» اختطفته وهو ملقى على سريره لا يستطيع حراكا من المرض والجوع.

ولاتزال الاسباب التي أدت الى غضب الخليفة على الكردفاني غير محددة وان كان شقير قد أشار الى اثنين منها. الاول ان أحمد على قاضي الاسلام قد حسد الكردفاني على مكانته عند الخليفة فسلط بعض

---

١ ـ نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧ ص ١١٧٦ ـ ١١٧٧

اخصائه لدى الخليفة ليشهدوا بأنهم سمعوه يقول بأنه من الخطأ تسليم امور الرعية الى رجل جاهل غشوم مثل عبد الله التعايشي وسمعوه يقول اشياء أخرى مشابهة . وهذه الرواية ليست بعيدة الاحتمال . فمن جانب احمد على فلا شك انه كان يخشى منافسة رجل أزهرى مثل الكردفانى فلا يستبعد ان يقول مثل ذلك الكلام فهو من تلك الطائفة من العلماء التى لم تنسجم فكريا مع دعوة المهدى فعارضه فريق وانضم اليه فريق آخر عندما بدأت المهدية فى الترجيح . ولكنهم ظلوا دائما عنصرا من عناصر الثورة المضادة فى المهدية . والسبب الثانى الذى قال به شقير ان الكردفانى ملأ كتابه « سعادة المستهدى » بكثير من الغمز الذى يحط من شأن المهدية ويدل على انكاره العميق لها . واثبات مثل هذه التهمة يحتاج الى دراسة وافية وتحقيق للرسالة (١) .

الف الكردفانى رسالتين الاولى هى « سعادة المستهدى » وهى عبارة عن تأريخ المهدية من بداية الدعوة المهدية حتى واقعة توشكى . وقد قضى فى تأليفها بضعة عشر شهرا (٢) . وقد وضع الخليفة فى يده امكانيات كبيرة فكتب الى العمال فى جميع انحاء البلاد ليوافوه بما لديهم من معلومات عن الأحداث المهدية فى تلك الفترة . والملاحظ على هذه الرسالة انها بالرغم من طولها اذ تقع فيما يزيد عن ٣٠٠ صفحة الا أنها غير منظمة فهى عبارة عن مقالة واحدة ليس بها اى تبويب أو تقسيم مما يجعل تناولها امرا جد شاق . نلاحظ ثانيا انه الف رسالته هذه تحت ظروف فكرية معينة مما جعله لايتوخى الحقيقة فى تناوله لبعض الحقائق فجاءت الرسالة فى اجزاء منها عبارة عن دعاية سياسية للمهدية وللخليفة عبد الله بالذات . فهى بهذا تصبح وثيقة هامة تعكس المناخ الفكرى للدولة المهدية .

أما رسالته الثانية « الطراز المنقوش » فقد الفها بعد كتابه الاول وانتهى منها فى ٦ شوال ١٣٠٦ (٥ يونيو ١٨٨٩) . وتقع الرسالة فى ١٨٣ صفحة من الحجم الصغير . وقد استعان فى تأليفها بالمعلومات التى حصل عليها لكتابة الاول فجاءته المعلومات والوثائق اللازمة التى اعتمد عليها فى تأليف كتابه هذا . وقد قسم الكتاب الى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

وقد حدد الكردفانى فى بداية كتابه الهدف من تأليفه له فقال : « . . ولما كانت واقعة الحبشة ومقتل مليكهم يوحنا من أكبر الفتوحات

---

١ ـ عبد الله على ابراهيم : الصراع بين المهدى والعلماء .
٢ ـ يرى الدكتور مكى شبيكة رأيا مقاربا لهذا .

الاسلامية الفخيمة التى يجب نشرهاليعم الخافقين نشرها ويكون موعظة بليغة لجميع ملوك الدول وعبرة لاهل الترف .. لعل الله يهديهم للدخول فى الدين .. (١) حقا لقد كان انتصارالانصار على الحبش يمثل القمة فى عهد الخليفة . فبجانب مكاسبه السياسية والحربية فقد كسب منه الانصار غنائم جمة من ذهب ورقيق وخلافهما فالرسالة ذات هدف محدد الغرض منه ابراز انتصارات الخليفة لتكون عبرة وعظة فهى اذا عمل دعائى سياسى .

يتحدث المؤلف فى المقدمة (٨ ــ ٢٨) عن الاقوال التى وردت عن المهدى فى حق الخليفة بالخلافة ولا ينسى ان يسرد نبذة عن صفات الخليفة السنية ومزاياه الطاهرة . فيقول ان الخليفة قد لقى منصبه هذا بأمر من سيد الوجود وان التسليم له يجب ان يكون ظاهرا وباطناً وان جميع افعاله بأمر من الرسول أو من المهدى . بالرغم من ان هذا الجزء من الرسالة لا صلة له ببقية اجزائها الا انه مهم لارضاء الخليفة فى وقت كان الاشراف واولادالبلد على نطاق اوسع يشكلون عنصرا منافسا لخلافته . ولا ينسى الكردفانى ان يختم هذا الجزء بالحديث عن عدل الخليفة واقامته للدين ، ويقارن بينه وبين الصديق خليفة رسول الله .

ينتقل بعد ذلك الى الباب الاول (٢٩ ــ ٦٦) عن سرية يونس الدكيم الى القلابات . ويقع هذا الباب فى خمسة فصول . ففى الفصل الاول (٢٩ ــ ٤٠) يتحدث الكردفانى عن الاسباب التى ادت الى ارسال تلك السرية اى عن اسباب الحرب بين دولة المهدية والحبشة وتبريرها . فيحاول الكردفانى ان يجد تفسير اللحديث الشريف « اتركوا الحبش ما تركوكم » . فيقول ان الرسول قد قال بترك الحرب مع الحبش فى عهده لان المسلمين كانوا مشغولين بحرب الكفار فى الجزيرة العربية فاذا كان ترك مقاتلتهم جائزاً فقتالهم جائز كذلك . وبما ان الحبش قد اعتدوا على ديار المسلمين فتصبح حربهم امرآضرورياً فلذلك ارسل لهم الخليفة يونس الدكيم (٢) .

اما الفصول الاربعة الباقية فهى عن الحملات الحربية الاربع التى أرسلها يونس الى جهات الحبشة المختلفة المتاخمة للقلابات (٣) . فالحملة الاولى كانت بقيادة عربى دفع الله أرسلها الى دبر سينه

---

١ ــ الطراز المنقوش ، صفحة ٤ ــ ٥ .

٢ ــ كان الحبش قد هجموا على حاميات القلابات وقتلوا عامل المهدية محمد ودارباب وخربوا الحامية ونهبوها .

٣ ــ لا يعطى المؤلف اى تواريخ للاحداث التى يسردها .

لمهاجمة صالح شنقه (١) . والحملةالثانية ارسلت الى قد بى لاعتقال عاملها يحى ولد الوكيل الذى مال نحو الحبشة ، وفعلا احضر الى القلابات وشنق . والحملة الثالثة الى جبل نحوره على بعد ثلاثة ايام من القلابات وعادت منتصرة غانمةوالحملة الأخيرة كانت ضد عجيل عوض الحمرانى ، (٢) الذى كان ينوى مهاجمة تبارك الله مركز النور ولد فقرا (٣) . بالرغم من تعددفصول هذا الباب وكثرة الحملات التى ارسلها يونس الى القلابات،(٤)الا أنها لم تعد ان كانت مناوشات اولية ولم تكن ذات جدوى ولم تحسم الصراع الذى كان دائرا بين البلدين . ولقد كانت فترة يونس الدكيم فى القلابات فترة استعداد للحرب ولم تكن فترة حرب . ولكن الكردفانى افردفصلا لكل مناوشةحربية تمت فى عهد يونس لأنه ابن عم الخليفةولابد ان تظهر اعماله الحربية قريبة من اعمال القواد الذين خلفوه ،حمدان ابى عنجه والزاكى طمل .

وينتهى هذا الفصل بتعيين حمدان ابى عنجه ، (٥) بعد ان تأكد ان يوحنا ينوى الزحف على القلابات من دبرتابور . واستدعى الخليفة يونس الى البقعة لعدم انسجامه مع حمدان فى القيادة . وقد أغفل الكردفانى هذا الجزء لحساسيتهولان يونس الدكيم قد استدعى لعدم طاعته لحمدان ولعدم مقدرتهالحربية .

ثم ينتقل الى الباب الثانى(٦٦ ــ ١٠٢) وهو عن سرية حمدان ابى عنجه الى القلابات وينقسم الى فصلين . فالفصل الاول (٦٦ ــ ٨٨) عن غزوة حمدان الاولى للحبشة .وقد طلب ابوعنجه اذن الخليفة للغزو فأذن له بذلك بعد حضرة نبوية،فالخليفة مثل المهدى له أيضا حضراته النبوية التى يستمد منهاالهامه . الم يقل الكردفانى فى بداية كتابه ان الخليفة يصدر فى اعمالهعن مصدر روحى لا اجتهاد شخصى!. ولعل اهم ما فى هذا الفصل وصف المؤلف لطريقة حمدان فى الحرب . فقد كان ابوعنجه يقسم الجهادية حملة الاسلحة النارية الى اربعة اقسام تمتد على خط مستقيم .ويأتى من خلفهم حمدان ومعه شجعان

---

١ ــ هو صالح ادريس التكرورى وقد كان زعيم التكارير فى القلابات التركية . وحارب الانصار فى القلابات وبعد اخلاءالقلابات من الحامية التركية خرج معها والتجا الى الحبشة واصبح من اعوان يوحناوظل يهاجم الانصار كثيرا .

٢ ــ هو من قبيلة الحمران المشهورة على الحدود مع الحبشة . وعند اندلاع المهدية فر وانضم الى الحبشة وظل يهاجم الانصار على جهة تبارك الله .

٣ ــ النور فقرا من الجبرته وهم مسلمو الحبشه وكان قد انضم للمهدى فعين عاملا على تبارك الله ليستنفر اهله الجبرتهفى الحبشة للانضمام للمهدية .

٤ ــ كانت فترة يونس الدكيم فى القلابات بين عامى ١٣٠٤ ــ ١٣٠٥هـ (١٨٨٧ــ١٨٨٨).

٥ ــ فترة ابى عنجه فى القلابات من بداية عام ١٣٠٥ (أواخر ١٨٨٧) حتى وفاته فى ٢٧ جماد الاول ١٣٠٦ (٢٩ يناير ١٨٨٩) .

الملازمين واهـل النجـــده وخفاف الحركة ، ويكون حمدان عادة خلف ربع الزاكى طمل . وخلف حمـــدان يأتى حملة الرماح . وعلى اجنحـــة الجيش يكون الفرسان وبهذا الوضع يكون حمدان فى قلب الجيش ويقوده ويسد اماكن ضعفه .

سار حمدان بجيشه هذا زاحفا على الحبشة فالتقى براس عدار قرب دمبيا . وهزمه بعد معركة استمرت نصف ساعة . ومنها زحف الى قندار واحتلها وحطم كنائسها واخذ منهـا غنائم طائلة وقفل راجعا الى القلابات. ثم اخذ الكردفانى يعـدد الكرامـات التى لقيها الانصـار فى معاركهم تلك والتى ساهمت فى تحقيق انتصارهم .

وفى الفصل الثانى (٨٨ ــ ١٠٢) يتحدث المؤلف عن غزوة حمـــدان الثانية للحبشة التى خرج فيها الى تنكل وجعلها قاعـدة حربيـة صـار يرسـل منها الحملات يمنة ويسرة . وبعد عدة معارك اخضع الانصـــار الحبش فى تلك المنطقـة وعادوا الى قاعدتهم فى القلابـات . ثم ذهب الى امدرمان لمقابلة الخليفة حيث استقبل بحفاوة بالغة فقـد كان حقا قائـــد المهدية الأول ولواء نصرها . وعـــاد حمدان الى القلابات ليلقى ربه وتنتهى بذلك صـفحة مجيـدة من التاريخ الحربى لدولة المهدية . وينتهى هـذا الفصل بالخطاب الذى ارسله الخليفة الى يوحنـا .

اما الباب الثالث والأخير (١٠٦ ــ ١٤٥) فهو عن سرية الزاكى طمل الى الحبشة . ويستهل الكردفانى ،هذا الباب بالصراع الذى نشب بـين احمد ود على التعايشى والزاكى طمل،ولكنه لا يعطى هذه القضية اهتماما كافيا بل يقفز قفزا الى تعيين الزاكى على يد البعثة التى ارسلها الخليفـة للنظر فى ذلك الصراع . (١)

اما الفصل الاول (١٠٦ ــ ١٢٤) فهو قمة الكتاب الذى يصـــور معركة المهدية الكبرى والاخيرة ضـد الحبشة ، انها بالنسبة للخليفة «فتح الفتوح» . بدات الملحمة عندما زحف يوحنا بجيش كبير جمعـــه من كل اطراف مملكته قاصـدا القلابـــات لاحتلالها وجعلها قاعدة جديدة لـه يهاجم منها بلاد الاسلام والمسلمين . وهاجم يوحنا القلابات هجوما عنيفا وفتح الحبش ثغرة فى تحصينـــات الانصار نفذوا منها الى داخل المدينة واستمر القتال عنيفا مميتـا مـدى خمس ساعات والمؤلف يصفه فى دقة لاتخلو من حيوية . ولكن الكردفـانى لايصف المعركة بكل ابعادها عندمـا

---

١ ــ بعث الخليفة بوفد على راسه احمـــد على قاضى الاسلام ونصر ذلك الوفد الزاكى على احمدود على الذى بقى قائدا لاحدالارباع تحت امرة الزاكى . ومن ذلك الوقت واحمد ود على يتامر على الزاكى حتى نجح فى الايقاع به عند الخليفة وسجـــن فى السابر ومات جوعا .

رجحت كفة الحبش واوشكوا على الانتصار . بل ينتقل من وصف المعركة العام الى بداية تراجع الحبش عندما أصيب يوحنا برصاصة طائشة. لقد تراجع الحبش فى شبه فوضى وهم يجرون اطراف انتصارهم الذى تحول الى هزيمة ويجرون مليكهم وكأنما الرصاصة التى اخترقت جسده قد اخترقت أجسادهم . فكان النصر للزاكى وأنصاره . (١)

ويستمر الكردفانى فى وصف باقى المعركة فى الفصل الثانى (١٢٤ ــ ١٤٥) عندما قام الانصار بمطاردة الحبش حتى لحقوا بهم عند نهر عطبرة وهم فى هلع من امرهم فأوقعوا بهم هزيمة كبرى واخذوا مالهم وعتادهم «وحزوا » رأس يوحنا ورؤوس قواده لتعلق فى سوق أم درمان الوية النصر الكبير . ولاينسى المؤلف ان يتحدث عن الكرامات التى شهدها الانصار فى تلك المعارك . فقد شاهد الانصار الخليفة وهو يسير أمام الجيش فى اشد المعركة يحدو اتباعه الى النصر وكرامات اخرى يسترسل ويفصل الكردفانى فى ذكرها . وبهذا ينتهى قلب الكتاب .

اما الخاتمة (١٤٦ ــ ١٨٣) فهى كالمقدمة ليست متصلة بالكتاب . ولكن لها اهميتها بالنسبة للخليفة فهى تتحدث عن السرايا التى أرسلها الى البلاد المختلفة للدعوة للمهدية . وهذا الجزء عبارة عن سجل لانتصارات الخليفة على أعدائه فى انحاء السودان . فهو يتحدث عن انتصاره فى دارفور على يوسف ابراهيم اولا ثم أبى جميزه ثانيا ، وعن انتشار المهدية فى خط الاستواء على يد عمر صالح وكيف فر امين بك من امامه ، وعن تشديد عثمان دقنه على سواكن وينتهى بالحديث عن استعدادات الخليفة لغزو مصر وتعيين يونس الدكيم عاملا على دنقلا.

هناك ملاحظات عابرة عن هذه الوثيقة الهامة . اولا نجدها لاتختلف عن كتابة الاول « سعادة المستهدى » فقد كتبا فى ظروف مشابهة ففيها الكثير من عنصر الدعاية الذى يدعو الى تحريف بعض الحوادث التاريخية لتحقيق هذا الغرض . ولكن بالرغم من هذا فهى وثيقة فيها الكثير من الحقائق التاريخية القيمة . ويختلف « الطراز المنقوش » عن « سعادة المستهدى » فى انه كتاب منظم بطريقة لا تختلف كثيرا عن الكتب الحديثة . ثانيا الكتاب يعكس المناخ الفكرى للمهدية والتسلط الذى عاش تحت ظله الكاتب فى عهد الخليفة والمهدية عامة . ولعل الثورة المهدية لاتختلف فى هذا عن بقية الثورات التى يخرج من أحشائها كتاب يتعصبون لها ويدافعون عنها ولكن الفرق بينهم وبين الكردفانى انهم كتاب فى الغالب مندفعون الى ثوراتهم مؤمنون بتعصبهم . ولعل التناقض بين ما كان يعتقده الكردفانى وما كتبه هو الذى ادى به الى تلك النهاية المؤلمة .

---

١ ــ معركة القلابات كانت فى مارس ١٨٨٩ (رجب ١٣٠٦) .

اللبن وانتاجه فى السودان

بقلم محمد حسن

مقـــــدمة :

اللبن غذاء مهم ومفيد خاصة للاطفال ولولا نقصه فى بعض العنـاصر الغذائية كالحديد لكان غذاء كاملا .لذلك اهتمت كـل الاقطـار المتقدمة بالمشاريع الانتاجية والعمل على زيادةكميـة الالبـان المنتجة لسـد حاجة السكان أولا وللتصدير ثانيا . ولكنمن الغريب ان نجد فى قطر كالسودان ان كميـة اللبن المنتج محليا لا تكفىلسـد الاحتياجات المحلية خاصة فى فصل الصيف والاغرب من ذلك انالمزارعين فى بعض المشاريع الزراعية الكبيرة مثـل مشروع الجـزيرةوخشم القربة يعتمدون لفترة ليست بالقصيرة على اللبن المعلب أما مجففاأو مركزا . وتدل آخـر الاحصائيات على ان السودان يستورد من الالبانومستخرجاتها ماقيمته نصف مليون من الجنيهات سنويا .

كمية الاستهلاك المحلى من اللبن :

هناك تقديرات متباينة للكميةالتى يستهلكها الشخص العـادى فى السودان من اللبن يوميا . ولقد قدربعض البـاحثين تـلك الكمية بحوالى نصف رطل يوميا فى العاصمة المثلثة.ولكن المعتقد ان ذلك الـرقم مبـالغ فيه خاصة بعد أن ظهـرت فى الاونةالاخـيرة عـدة حـوادث من مـرض « الكواشياركور » عنـد الاطفـالالناتج عن نقص البروتينات . وكمـا هو معروف فأن هذا المرض يؤثر الىحد كبير على نمو الاطفال ويلحق بهم اضرارا تؤثر على مقـدرتهم الانتاجيةفى المستقبل وبالتالى على طاقة القطر البشرية . فاذا كان الامـر كذلك فىالمدن فالحال لا شك اسوأ فى المناطق النائية خاصة التى تصعب فيها حياةالماشية طوال السنة نسبة لقلة المـاء أو المرعى أو وجود ذبابة مرض النومكما هو الحـال فى منطقة الزاندى فى جنوب السودان .